



## أحكام الأسير في الإسلام

10 برنامج التنوير

الحلقة الثالثة

2021-04-03

إن المعركة بين الحق والباطل حتمية لا مفرّ منها، والمسلمون يعيشون ضمن هذا العالم، فهم محاربون كما كانوا في عصور نهضتهم أو محاربون كما هو الحال اليوم. والفرق بين الواقعيين أن المسلمين يوم كانوا يحاربون كانوا يقاتلون لإعلاء كلمة الله والحق والعدل ولنصرة المستضعفين الذين يسامون سوء العذاب وحين تكتب لهم الغلبة لم يكونوا يحدون عن المبدأ الذي خرجوا من أجله، أما وقد أصبحوا محاربين فقد حُرّم العالم خيراً كثيراً. ما أريد قوله: لا يوجد عالم وردي بلا حروب إلا عند الحالمين، والتاريخ والواقع شاهدان فلا بد من وضع أحكام للحرب كما أن هناك أحكاماً للسلم. ووجود الأسرى من الطرفين نتيجة حتمية للمعركة، ولقد وضع الإسلام قواعده للتعامل مع الأسرى.

### خياران للتعامل مع الأسير:

إن أمام ولي الأمر خيارين في التعامل مع الأسير، وقد جاء النصّ القرآني صريحاً بهما، قال تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
<span style="font-weight:bold">وَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا أَثْبَتْتُمُوهُمْ فَسُدُّوا أَلْوَانَكُمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ  
</span> [ ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانتَصَرْتُمْ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيُنْزِلَ عَلَيْكُمْ رِجَابٌ مِّنْ سَمَوَاتِكُمْ فِي أَيِّ صَوْلَةٍ تُبْتَغُونَ  
<span style="font-weight:bold">حَتَّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا [ ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانتَصَرْتُمْ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيُنْزِلَ عَلَيْكُمْ رِجَابٌ مِّنْ سَمَوَاتِكُمْ فِي أَيِّ صَوْلَةٍ تُبْتَغُونَ  
</span> أَعْمَالَهُمْ (4)

(سورة محمد)

وانطلاقاً من هذه الآية فإن الخيارين في التعامل مع الأسير هما:

- 1- المرنّ: بإطلاق سراحهم تحبباً لهم بالإسلام.
- 2- الفداء: وذلك عن طريق مبادلة الأسرى بين المسلمين وأعدائهم، أو عن طريق اقتداء ذوي الأسرى أسراهم بالمال أو بغير ذلك مما يتم الاتفاق عليه.

### الحكم الشرعي للأسير:

وقد يسأل سائل: هل يقتل الأسير في الإسلام؟

والجواب: إن الحكم الشرعي للأسير وفق الآية كما مر معنا هو المئ عليه وإطلاق سراحه دون مقابل، أو الفداء بالمال أو بأسرى المسلمين، وأما قتل الأسير فليس مشروعاً في الأصل إلا أن يكون للقتل سبب غير الأسر، كأن يكون الأسير قاتلاً يستحق القصاص، أو مجرم حرب كما في المصطلح الحديث، أو يقرر الحاكم ذلك من باب المعاملة بالمثل.

أما قوله تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
مَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يُكُونَ لَهُ أُسْرَى حَتَّى يُنَجِّنَ فِي الْأَرْضِ ۖ تُرِيدُونَ عَرَصَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ۖ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (67)

(سورة الأنفال)

فقد نزل بعد معركة بدر وفي هذه الآية بين المولى جل جلاله أن الفداء لا يكون إلا بعد الإختان أي بعد أن تكون الرفعة والقوة للمسلمين وبهاهم أعداؤهم ويحسون لهم ألف حساب، أما أن يكون هناك أسرى يفادون بالمال قبل تحقيق النصر فهذا لا يصح.

ولسائل أن يسأل: هل يسترق الأسير أي يجعل رقيقاً عبداً، والجواب: يمكن أن يحصل ذلك من مبدأ المعاملة بالمثل ولكنه استثناء يقره الحاكم وليس أصلاً، فلقد كان الاسترقاق شائعاً في تلك العصور ولا يعقل أن يأمن الأعداء على أسراهم من الاسترقاق ولا يأمن المسلمون على أسراهم، من هنا كان لولي الأمر أن يقرر استرقاق بعض الأسرى من باب المعاملة بالمثل، أما الأصل فهو مبادلة الأسرى إن كان للمسلمين أسرى عند أعدائهم.

## الإحسان للأسير:

وبعض النظر عن الخيارات السابقة فإن الإسلام يقرر معاملة الأسير بالإحسان بشقيه المادي والمعنوي ففي الإحسان المادي يقول تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مَشَكِيئًا وَنَبِيئًا وَأَسِيرًا (8)

(سورة الإنسان)

وفي التربية النفسية يقول تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِّنَ الْأَسْرَىٰ إِن يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّا أُجِدَّتْ مِنْكُمْ وَيَعْفُو عَنْكُمْ ۗ وَرَجِمَ (70)

(سورة الأنفال)

فالمجتمع المسلم يستثمر وجود الأسرى عنده لتلمس مكامن الخير والصلاح في نفوسهم لينبي عليها فيتحقق مفهوم الرحمة التي أرسل بها محمد صلى الله عليه وسلم للعالمين، وكان الأسير خلال أسره يكون في مركز للتأهيل والإصلاح الإيماني.

## قصة تجسّد طريقة التعامل مع الأسرى في الإسلام:

وهذه قصة ثمامة بن أثال تمثّل خير تمثيل طريقة التعامل مع الأسرى خلال مدة أسرهم.

بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَيْلًا قَبِلَ تَجْدٍ، فَجَاءَتْ بِرَجُلٍ مِنْ تَيْبِ خَبِيْقَةٍ يُقَالُ لَهُ: ثَمَامَةُ بْنُ أَثَالٍ، سَبَّذَ أَهْلُ الْيَمَامَةِ، فَتَطَوَّهَ بِسَارِيَةٍ مِنْ سَوَارِي الْمَسْجِدِ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: «مَاذَا عِنْدَكَ يَا ثَمَامَةُ؟» فَقَالَ: عِنْدِي يَا مُحَمَّدُ خَيْرٌ، إِنْ تَقْبَلُ تَقْبَلُ دَا دَمٍ، وَإِنْ تُنْعِمُ تُنْعِمُ عَلَيَّ شَاكِرٌ، وَإِنْ كُنْتُ تُرِيدُ الْمَالَ فَسَلْ تُعْطِ مِنْهُ مَا سَبَّتُ، فَتَرَكَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى كَانَ بَعْدَ الْعِدِّ، فَقَالَ: «مَا عِنْدَكَ يَا ثَمَامَةُ؟» قَالَ: مَا فَلْتُ لَكَ، إِنْ تُنْعِمُ تُنْعِمُ عَلَيَّ شَاكِرٌ، وَإِنْ كُنْتُ تُرِيدُ الْمَالَ فَسَلْ تُعْطِ مِنْهُ مَا سَبَّتُ، فَتَرَكَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى كَانَ مِنْ الْعِدِّ، فَقَالَ: «مَاذَا عِنْدَكَ يَا ثَمَامَةُ؟» فَقَالَ: عِنْدِي مَا فَلْتُ لَكَ، إِنْ تُنْعِمُ تُنْعِمُ عَلَيَّ شَاكِرٌ، وَإِنْ تَقْبَلُ تَقْبَلُ دَا دَمٍ، وَإِنْ كُنْتُ تُرِيدُ الْمَالَ فَسَلْ تُعْطِ مِنْهُ مَا سَبَّتُ، فَتَرَكَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى كَانَ مِنْ الْعِدِّ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَطْلِقُوا ثَمَامَةَ»، فَأَنْطَلَقَ إِلَى تَحْلِ قَرِيبٍ مِنَ الْمَسْجِدِ، فَاعْتَسَلَ، ثُمَّ دَخَلَ الْمَسْجِدَ، فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، يَا مُحَمَّدُ، وَاللَّهِ، مَا كَانَ عَلَيَّ الْأَرْضُ وَجْهَ أَنْعَصَ إِلَيَّ مِنْ وَجْهِكَ، فَقَدْ أَصْبَحَ وَجْهَكَ أَحَبَّ الْوُجُوهِ كُلِّهَا إِلَيَّ، وَاللَّهِ، مَا كَانَ مِنْ دِينٍ أَنْعَصَ إِلَيَّ مِنْ دِينِكَ، فَأُضِيحَ دِينَكَ أَحَبَّ الدِّينِ كُلِّهِ إِلَيَّ، وَاللَّهِ، مَا كَانَ مِنْ تَلْدٍ أَنْعَصَ إِلَيَّ مِنْ تَلْدِكَ، فَأُضِيحَ تَلْدَكَ أَحَبَّ الْيَلَادِ كُلِّهَا إِلَيَّ، وَإِنْ خَيْلِكَ أَخَذْتَنِي وَأَنَا أُرِيدُ الْعُمْرَةَ فَمَاذَا تَرَى؟ فَتَبَسَّرَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَمَرَهُ أَنْ يَعْتَمِرَ.

والحمد لله رب العالمين.